**نظريات الإرشاد التربوي**

من المعروف أن أي نشاط في مجال الإرشاد والعلاج النفسي ينطلق من فلسفة نظرية عن الشخصية وطبيعة مكوناتها وطرائق اعتلالها أو اضطرابها، فالمرشد يجب أن يستند في ممارساته المهنية إلى أسس وأفكار عن الشخصية، وأنماط السلوك، ومظاهر السواء أو عدم السواء، وكيفية حدوث التوافق أو عدم التوافق، والصحة النفسية، وغيرها. وهناك نظريات عدة في مجال الإرشاد والتوجيه، سنقتصر على خمسة منها وهي نظرية السمات، والنظرية السلوكية، ونظرية الذات، ونظرية الاصطفاء، ونظرية المجال.

أولاً : نظرية السمات:

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن لكل شخصية نمطها الفريد من السمات، وأن هذه السمات تلعب دوراً رئيساً في تحديد سلوك الفرد. تستعين نظرية السمات بعدد كبير من السمات أو الأبعاد التي يفترض أنها مشتركة بين الناس جميعاً في وصف كثير من الفروق الأخرى في الشخصية التي لا يمكن وصفها بعدد محدود من الأنماط. وتعرف السمات: بأنها أنماط سلوكية عامة دائمة نسبياً وثابتة نسبياً تصدر عن الفرد في مواقف كثيرة، وتعبر عن توافقه مع البيئة. والسمات لا يمكن ملاحظتها مباشرة ولكن يستدل على وجودها من ملاحظة سلوك الفرد خلال فترة من الزمن. ومن أهم نظريات السمات نظرية جوردن البورت.

نظرية السمات عند جوردن البورت:

يعد البورت من أبرز المنظرين لنظرية السمات، وهو يعرف السمة بأنها الوحدة المناسبة لوصف الشخصية وليست السمة في رأيه صفة مميزة لسلوك الفرد فقط، بل إنها أكثر من ذلك، إنها استعداد أو قوة أو دافع الفرد يدفع سلوكه ويوجهه بطريقة معينة. فالشخص الذي يتسم بالكرم مثلاً يكون دائماً على استعداد للتصرف بكرم في الظروف والمواقف، وهو يبحث دائماً عن المواقف التي يتصرف فيها بكرم.

ويقسم البورت السمات من حيث عموميتها وخصوصيتها على:

1. السمات العامة أو المشتركة:وهي الاستعدادات أو السمات العامة التي يشترك فيها كثير من الناس بدرجات متفاوتة ويمكن على أساسها المقارنة بين الأفراد الذين يعيشون في ثقافة معينة. فسمة السيطرة مثلاً سمة عامة يمكن أن نقارن على أساسها بين الأفراد، ونحدد لكل منهم درجة معينة في مقياس السيطرة. والسمة العامة عادة سمة متصلة وتتوزع بين الناس توزيعاً معتدلاً.

2. السمات الفردية:وهي الاستعدادات أو السمات الشخصية والخصائص السلوكية التي لا توجد لدى الأفراد جميعهم بل تكون خاصة بفرد معين. وهي تعبر عن نواح فريدة في شخصية فرد معين ويجب أخذها بالاعتبار إذا أردنا أن نصف شخصية هذا الفرد المعين وصفاً دقيقاً. ويهتم البورت اهتماماً خاصاً بالسمات الفردية ويعدها هي السمات الحقيقية التي تصف الشخصية بدقة، أما السمات العامة فيرى أنها شبه حقيقية، إذ إن مقارنة الأفراد بعضهم ببعض لا يتم إلا على وفق السمات الشخصية.

أما من حيث درجة الأهمية فيقسم البورت السمات على

1. السمة الرئيسة: وهي السمة التي تكون على درجة عالية جداً من الأهمية في سلوك الفرد. إذ تسود وتسيطر على شخصيته ويظهر أثرها في سلوكياته جميعها تقريباً، فالشخص الذي تكون الشجاعة سمته الرئيسة يكون دائماً شجاعاً في مواقفه وعلاقاته كلها مع الناس. وعادة ما يشتهر الناس ببعض سماتهم الرئيسة. ولكن الذين يظهرونها على نحو العموم قليلون.

2. السمة المركزية:سمة تخص فرداً معيناً بدرجة كبيرة وتكون أكثر تميزاً له. وحينما نكتب خطاب توصية لشخص ما فإننا غالباً ما نصفه بسماته المركزية التي يتميز بها. ويرى البورت أن السمات المركزية التي يمكن أن توصف عن طريقها شخصية الفرد وصفا دقيقياً هي في العادة قليلة تتراوح بين خمس وعشر سمات. كما يرى بأنها في الشخصية وأن ما يرجع عادة من ثبات في سلوك الفرد يعود إليها.

3. السمة الثانوية:وهي التي تشير إلى استعداد ثانوي اقل أهمية ووضوحاً وعمومية وثباتاً وظهوراً من الاستعدادات المركزية وهي لا تميز الفرد، وإنه يظهرها بظروف

خاصة، فقد يتصرف الشخص الكريم أحياناً بطريقة لا تدل على الكرم، غير أن مثل هذا التصرف لا يكون ثابتاً في سلوك هدا الشخص.

وسوى ذلك يفرق البورت بين نوعين آخرين من السمات من حيثية أخرى، وهما:

1. السمات الدينامية: فإنها تشير إلى العوامل الدافعة إلى النشاط، أي المحركة له.

2. السمات الأسلوبية: وهي التي توضح كيفية سلوك الفرد، أي أنها تبين طريقة الفرد وأسلوبه.

تطبيقات نظرية السمات في الإرشاد التربوي

ساهمت نظرية السمات بقدر كبير في الإرشاد والتوجيه من خلال:

1. تأكيد البورت على التركيز على الحالة الفردية في دراسة السلوك مستخدماً الطرائق والمتغيرات التي تناسب فردية كل شخص.

2. إن المرشد مسؤول عن تحديد المعلومات المطلوبة وعن جمعها وتقديمها إلى المسترشد .

3. مساهمة نظرية السمات في عملية التوجيه والإرشاد من خلال المقابلة بين التنبؤ الفردي والجمعي.

4. حفز البورت علماء النفس على أن يخصصوا قدراً من وقتهم وجهدهم لدراسة الحالة الفردية، مؤكداً أن من أكثر المناهج فعالية في دراسة السلوك الفرد ومعرفة سماته هو منهج دراسة الحالة.

أهم الانتقادات الموجهة لنظرية السمات:

1. لا يمكن وصف الشخصية بمجرد حصر سماتها فقط بل يجب أن نعرف أيضاً ما بين هذه السمات من تفاعل فليست الشخصية مجرد مجموعة من السمات أو الاستعدادات المستقلة المنعزلة بعضها عن بعض.

2. لم تبين نظرية السمات كيفية حدوث التفاعل والتنظيم بين السمات المختلفة للشخصية.

3. كذلك وجه النقد أيضاً إلى نظرية البورت على أساس أنها عجزت عن تحديد مجموعة من الأبعاد لاستخدامها في دراسة الشخصية، فالسمات الفردية لا يمكن وضعها في صورة عامة، ولذا يصبح من الضروري على الباحث الذي يتبع المنهج الفردي أن يقوم بمهمة تحديد أبعاد الشخصية بالنسبة لكل فرد يقوم بدراسة شخصيته وهو أمر من شأنه أن يثبط همة الباحث ويعطل تقدم البحث العلمي.

ثانيا/ نظرية الذات

يتضمن التوجيه والإرشاد دراسة الذات ومفهومها، والذات هي جوهر الشخصية، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها وهو الذي ينظم السلوك.

لقد أصبح ثابت إن معرفة الفرد بذاته لها تأثير كبير في كثير من جوانب سلوكه ، كما أنه متعلق بشكل مباشر بحالته العقلية وشخصيته بنحو عام، ويميل أولئك الذين يرون

أنفسهم على أنهم غير مرغوبين ولا قيمة لهم في المجتمع، ذلك التصور كله بسبب نظرتهم لذاتهم. ومن هذا المنطلق ذاته، نجد أصحاب المفهوم غير الواقعي عن أنفسهم يميلون إلى التعامل مع الحياة والناس بأساليب منحرفة أو شاذة، وعلى هذا تعد المعلومات الخاصة بكيفية إدراك الفرد لذاته مهمة ومن هنا تتجلى أهمية المرشد في مساعدة المسترشد لفهم ذاته وتقويمها.

ويلعب مفهوم الذات دوراً محورياً في تشكيل سلوك الفرد وإبراز سماته المزاجية، فكل منا ينحو الى أن يسلك بالطريقة التي تتفق مع مفهومه عن ذاته، فإذا كان مفهومي عن ذاتي أنني قوي الشخصية عالي الهمة فمن الصعب أن يصدر عني سلوك يختلف عما تفرضه هذه الذات، وإذا كنت فاهماً ذاتي على أني مريض ضعيف؛ فمما لاشك فيه أنني أكون متردداً في المشاركة في أي نشاط أو موقف يتطلب كفاءة بدنية، أو جهد بدني. وهذا المعنى يذكرنا بقول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومثله قول أبي القاسم الشابي: ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

إن مفهومنا عن ذاتنا يحكم سلوكنا بشكل كبير سواء كان هذا المفهوم صحيحاً أم خاطئاً.

مما تقدم تتأكد أهمية استخدام مفهوم الذات في فهم الشخصية وبالتالي مساعدة الفرد في حل مشكلاته المختلفة وإعادة توافقه مع البيئة الخارجية، وربما لفهم جوانب شخصيته ووضع قوانين تسهم في التنبؤ بسلوكه في المواقف المختلفة. غير أنه من الضروري أن نلاحظ أن مفهوم الذات وسمات الشخصية ليسا مترادفين بل هما منحنيان مختلفان تماماً في تعاملنا مع الفرد، فمفهوم الذات قد لا يقبل الملاحظة المباشرة بوصفه يمثل تنظيماً إدراكياً للشخصية يمكن استكشافه أو قياسه أو الاستدلال عليه عن طريق شواهد وملاحظات معينة، بوصف السلوك دالة لمفهوم الذات.

تعريف مفهوم الذات:

إن مفهوم الذات يرادف إلى حد كبير مفاهيم أخرى كمفهوم النفس مثلاً، وهذه المفاهيم يـــصعب على الإنسان الإحاطة بـها ومعرفة حقيقـتها كما ورد عــن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): "من عرف نفسه فقد عرف ربه" وبما أن معرفة الرب أي الإله مستحيلة لذا فإن معرفة الذات أيضاً مستحيلة. لذا نجد أن العلماء قديماً وحديثاً ولجوا هذا الميدان وحاولوا معرفة حقيقة الذات لكنهم لم يفلحوا في تعريف الذات من حيث هي، إلا أنهم عرفوها بلوازمها.

يتفق الكثير من الباحثين من هذه الوجهة من النظر التي تعد مفهوم الذات ذلك المكون أو التنظيم الإدراكي غير الواضح المعالم الذي يقف خلف وحدة أفكارنا ومشاركنا والذي يعمل بمثابة الخلفية المباشرة لسلوكنا أو مركز تنظيم السلوك وتوجيهه وتوحيده ، وبهذا يلعب مفهوم الذات دور القوة الدافعة للفرد في سلوكياته كلها.

التطبيقات التربوية لمفهوم الذات في الإرشاد التربوي:

تتضح أهمية الدور الذي تلعبه العوامل الذاتية في مفهوم الذات عن طريق معالجة "ريمي" له في نظرية الإطار غير الموجه إذ يشير إلى الجوانب الآتية:

1. إن فكرة المرء عن ذاته ـــ بوصفها نظاماً إدراكياً مكتسباً ــــ تخضع لمباديء التنظيم الإدراكي ذاتها التي تتحكم في الموضوعات المدركة.

2. إن فكرة المرء عن ذاته تنظم سلوكه، فالمعرفة بوجود ذات أخرى مختلفة في عملية التوجيه تؤدي إلى إحداث تغيير في السلوك.

3. إن فكرة المرء عن ذاته ترتبط بالواقع الخارجي برباط ضعيف في حال المرض العقلي.

4. قد تلقى فكرة المرء عن ذاته تقديراً أكبر مما تلقاه ذاته الجسمية فقد يضحي الجندي في الميدان بنفسه في سبيل القيم الأخلاقية والمثل العليا التي تتضمنها فكرته عن ذاته.

5. يحدد الإطار الكلي فكرة المرء عن ذاته كيف يدرك المثيرات الخارجية وهل يتذكرها أم أنه ينساها، وعندما يطرأ تغيير على هذا الإطار الكلي لفكرة المرء عن ذاته فإن من شأن هذا التغيير أن يعدل من نظرته للعالم الخارجي.

أهم الانتقادات الموجهة لنظرية الذات:

1. تداخل مفهوم الذات مع كثير من المفاهيم والمصطلحات النفسية مما يؤدي إلى إرباك الباحث وعدم إعطائه صورة واضحة عن هذا المفهوم.

2. تعدد التعريفات التي قدمها علماء النفس حول مفهوم الذات أمثال: البورت، وجيمس، وماسلو، وميد، وميرفي، وريمي، وغيرهم، تجعل الباحث متحيراً في تحديد المفهوم الدقيق للذات.

ثالثا/ نظرية الانتقائية

يمثل الاتجاه الانتقائي في الإرشاد والعلاج النفسي جهداً منظماً للاستفادة من مباديء المدارس المختلفة التي يمكن أن توجد بين النظريات المختلفة بقصد إقامة علاقات وثيقة متبادلة ومتكاملة بين الحقائق ذات العلاقة الوثيقة فيما بينها مهما اختلفت أصولها النظرية. لذا فهو منهج استقرائي أكثر منه استدلالي فبدلاً من البدء بأفكار قبلية أو تصورات نظرية والتأكد من مدى صلاحية الحقائق للنموذج الفكري المقترح، فإن الأخصائي النفسي يقوم بإجراءات استقرائية فهو يجمع الحقائق ويحللها ثم يحاول إقامة بناء نظري يفسر هذه الحقائق. وقد شهد هذا الاتجاه تطوراً كبيراً عن طريق العالم الأمريكي فرديك ثورن.

تطبيقات النظرية الانتقائية في الارشاد التربوي :

1. إن الإرشاد في هذه النظرية يشتمل على تكامل الأفكار والإستراتيجيات من الطرائق والوسائل المتوافرة جميعها لمساعدة المسترشد.

2. التعرف على العوامل الصالحة في أنظمة الشخصية جميعها ودمجها في كل متماسك لتتمثل في السلوك وذلك من أجل تفسيرها.

3. تؤكد هذه النظرية على استيعاب النظريات وأساليب التقييم جميعها بوصفها من العوامل المساعدة في علاج العميل وحل مشكلاته.

4. عدم التركيز على نظرية واحدة بل يكون المرشد ذا عقل متفتح عن طريق تجاربه المستمرة التي تؤدي إلى نتائج صالحة.

طرائق الإرشاد التربوي

هناك طرائق متعددة للإرشاد من أهمها:

1. الإرشاد المباشر: وهو الإرشاد الممركز حول المرشد وفيه يقوم المرشد بالدور الايجابي النشط وفيه يتحمل المرشد المسؤولية كاملة ويعد نوع من أنواع الإرشاد القسري أو المفروض.

ويستعمل في حالة نقص معلومات المسترشد وعجزه عن حل مشكلاته وهدفه محصور في حل مشكلات المسترشد، وكذلك يستعمل مع المسترشدين الذين تنقصهم المعلومات وتكون مشكلاتهم واضحة ومحددة، ويستعمل أيضاً في مجال الإرشاد العلاجي. وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الإرشاد المباشر يعطي حلولاً جاهزة، وهذه الحلول قد تناسب المسترشد وقد لاتناسبه.

خطوات إجراء الإرشاد المباشر:

يمكن إيجاز أهم الخطوات عند إجراء الإرشاد المباشر بمايلي:

أ‌. التحليل: أي تحليل البيانات بعد جمعها.

ب‌. التركيب: أي تجميع، وتلخيص، وترتيب المعلومات.

ت‌. التشخيص: أي تشخيص المشكلة وتحديد أغراضها.

ث‌. المتابعة: أي يقوم المرشد بمتابعة الحالة بعد أن ينتهي من العملية الإرشادية.

عيوب الإرشاد المباشر:

إنّه يتنافى وأخلاقيات الإرشاد النفسي إذ إنّ من أخلاقيات الإرشاد النفسي هو عدم إعطاء حلول جاهزة.

2. الإرشاد غير المباشر

وهو الإرشاد الممركز حول المسترشد وحول الذات وهو أقرب طرائق الإرشاد النفسي إلى العلاج النفسي، والهدف الأساس من هذا الإرشاد هو مساعدة المسترشد على النمو النفسي السوي والتطابق بين مفهوم الذات الواقعي ومفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات المثالي ومفهوم الذات الاجتماعي.

ويمكن استعمال الإرشاد غير المباشر مع المسترشدين الذين ذكاؤهم متوسط أو أكثر طلاقة لفظية. ويمكن أن يفيد في مجال الإرشاد العلاجي والإرشاد الزواجي وكذلك مع حل المشكلات الشخصية للشباب.

عيوب الإرشاد غير المباشر:

1. قد يراعي الإنسان على حساب العلم.

2. يهمل عملية التشخيص على رغم إجماع معظم طرائق الإرشاد النفسي عليها.

3. يعطي حرية كبيرة للمسترشد بحيث يكون هو القائد للعملية الإرشادية.

الفرق بين الإرشاد المباشر وغير المباشر:

يمكن أن نوجز أهم الفروق بين الإرشاد المباشر وغير المباشر فيما يأتي:

الإرشاد المباشر الإرشاد غير المباشر

1. يتمركز حول المرشد النفسي التربوي.

2. قد يستغرق وقتاً أقل نسبياً.

3. المرشد هو المسؤول الأول عن العملية الإرشادية ويقودها.

4. المرشد هو الذي يقيّم سلوك المسترشد ويدفعه إلى اتخاذ القرارات. 1. يتمركز حول المسترشد.

2. يستغرق وقتاً أطول نسبياً.

3. المسترشد هو الذي يقوّم جلسات الإرشاد وهو المسؤول أكثر.

4. المسترشد هو يقيّم سلوكه وهو الذي يتخذ قراراته بنفسه من دون تدخل المرشد.

3. الإرشاد الانتقائي(الخياري)

وهو أسلوب اختياري توفيقي بين أساليب الإرشاد المختلفة يأخذ منها بحياد ما يناسب ظروف المرشد والمسترشد والمشكلة والعملية الإرشادية بصفة عامة ويبدو أنّ أسلوب الانتقائي وجدت للتوفيق بين الإرشاد المباشر والإرشاد غير المباشر بما يخدم عملية الإرشاد.

والمرشد التربوي على وفق أساليب الإرشاد الخياري لابد أن يعرف أساليب الإرشاد كلها وأن يكون قادراً على التوفيق بينها إذا اقتضى الأمر.

ــ خطوات إجراء الإرشاد الخياري:

أ‌. تجميع كل ما هو معروف في مجال أساليب الإرشاد.

ب‌. وضع تعريف إجرائي عملي لكل أسلوب.

ت‌. التعرف على أفضلية استعمال أسلوب معين في موقف ما دون غيره.

ث‌. تحقيق الصدق التنبؤي أو إثبات الصدق في أثناء التطبيق العملي.

ــ مزايا الإرشاد الخياري:

تتلخص أهم مزايا الإرشاد الخياري فيما يأتي:

أ‌. أداء أكبر فائدة إرشادية وبأي أسلوب.

ب‌. يمثل الانفتاح العقلي من دون تحيّز أو جمود فكري.

ت‌. يوسع أفق المرشد ويجعله يحترم الأساليب كلها، ويجعلها أكثر حرية من الناحية المنهجية.

ث‌. يمكّن المرشد من تقديم خدمات الإرشاد بأسلوب أكثر فاعلية.

عيوب الإرشاد الانتقائي:

1. يرى البعض بأنّ هذا النوع من الإرشاد ليس له فلسفة واضحة وأسس ثابتة ولاتتخذ فيه بوضوح معالم عملية الإرشاد.

2. يرى البعض أنّه عبارة عن عملية توفيق بين أساليب الإرشاد الأخرى، والواقع أنّه أسلوب غريب غير متكامل.

ــ أنواع الإرشاد الخياري:

1. الاختيار بين الأساليب: يتعامل المرشد التربوي مع أساليب متعددة ومختلفة بحياد ولايتحيّز لأسلوب معين دون آخر، ولذا عليه أن يختار بمرونة وذكاء الأسلوب المناسب للحالة أو المشكلة.

2. الجمع بين الأساليب: قد يجمع المرشد التربوي بين الأساليب فيختار من كل أسلوب أفضل ما فيه ويمزجها معاً ليخرج أسلوباً جديداً يكون مناسباً لحل المشكلة.

وهناك أنواع أخرى من الإرشاد أهمها الإرشاد السلوكي، الإرشاد باللعب، والإرشاد وقت الفراغ، والإرشاد العرضي.